مصر والعـــالم

في القرن الثالث عشر الميلادي

للأستاذ عطيه الشيخ

تفتش بوزارة المعارف

كنانة الله :

أيها المصري الكريم ! إذا ادلهمت حولك الخطوب ، واكتنفتك المحن ، وطمع الانجليز في جنوب واديك ، وكشر الصهيونيون عن أنياب غدرهم في فلسطين ، وملأت هيئة الأمم ظلم أعدائك وأهملت حقك ، فلا يهولنك الأمر ولا ترع ، فمن قبل هذه الأقوام كانت أمتك تحتضن الدهر وهو غلام ، وتعلم الشعوب وهم رعاع ، وتحمل مشعل العلم والمدنية والناس جميعاً في ظلام ، ثم قامت عروش ، وتكونت دول ، وبادت أمم ، وتغيرت خرائط العالم مرات ومرات ، ومصر هي مصر ، كنانة الله في أرضه ، وجامعة المبادئ الفاضلة ، وملاذ المدنيات وقبلة العالمين . اقرأ إن شئت ما قامت به مصر في القرن الثالث عشر الميلادي وحده ، لتعلم كم لبلادك العزيزة من أياد على الناس أجمعين ، وأنها بحق كنانة الله في أرضه .

أمة تتحطم :

جاء القرن الثالث عشر الميلادي والخلافة العباسية في بغداد تحتضر ، ويقوم بالحكم الفعلي في أرضها « الأتابكة[1] » وهم أمراء سلاجقة ، تقسموا الدولة بعد موت ملك شاه سنة ١٠٩٢ ميلادية . هذا في الشرق ، وأما في الغرب : فكانت مدن الأندلس تتساقط تساقط أوراق الخريف أمام عجلات الأسبان حتى سقطت « قرطبة » نفسها ١٢٣٦ م وكانت دولة الموحدين في الشمال الإفريقي قد آذنت بزوال ، كما كانت سواحل بلاد الشام جميعها لا تزال في أيدي الصليبيين بعد أن استرد صلاح الدين الأيوبي مدنهم الداخلية ، أما في مصر فكان سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك يحكمون من القاهرة مملكة قوية ، تضم في معظم أيامها مصر ، والنوبة ، واليمن ، وبرقة ، وأكثر بلاد الشام وفلسطين ؛ وتمتد ملكها من الأناضول شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، ومن الفرات شرقاً إلى تونس غرباً . وتعاقب على العرش في هذا القرن الملك العادل أخو صلاح الدين « ١١٩٨ — ١٢١٩ » ثم الصالح أيوب بن الكامل « ١٢٣٨ — ١٢٤٩ » ثم شجرة الدر زوجة الصالح ، وابنه نوران شاه « ١٢٣٩ — ١٢٥٠ » ثم انتهى سلطان الأيوبيين وورثهم المماليك « ١٢٥٠ — ١٥١٧ » وكانت مصر في هذا القرن أقوى أقطار الإسلام لاتساع مُلكها ووفرة خيراتها ، وما انضوى تحت لوائها من ممالك وأمصار ، ولما في عنصر هذه الأمة الكريمة من حيوية يشيب الدهر من حولها ولا تزال أبداً فتية ، ولأن حكامها آنذاك ، من أيوبيين ومماليك ، كانوا قواداً عسكريين ، قبل أن يكونوا ملوكاً حاكمين نبتوا في كنف المعارك ونشأوا تحت ظلال السيوف .

أعظم نكبة :

كان أعداء الإسلام في ذلك القرن ثلاثة : هم الصليبيون ، والمغول ، والحشاشون .

(١) الصليبيون : قضى المسلمون القرن الثاني عشر كله في جلاد مرير مع الصليبيين ، تزعمه عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ، وانتهى القرن الثاني عشر ومات صـــلاح الدين الأيوبي ١١٩٣ ، ولا يزال الصليبيون يملكون سواحل الشام من أنطاكية إلى غزة ، وقد علمتهم حروب صلاح الدين أنهم لا يستطيعون الاستقرار في بلاد الشام ما دام في مصر دولة قوية ، فوجهوا غزواتهم في القرن الثالث عشر إلى مصر ليفتحوها بعد القضاء عليها ، وبذلك يؤمنون مملكة أورشليم . وكانت أول حملة صليبية على مصر في هذا القرن « ١٢١٨ » بقيادة « جان دي برين » واستولوا على دمياط ، وأخذوا يزحفون على القاهرة ، فمات الملك العادل حزناً ، وترك أمر الدفاع لابنه الملك الكامل الذي ورث البطولة عن أبيه وعمه (صلاح الدين) ، فأقام الاستحكامات في المكان الذي سمي فيما بعد بالمنصورة ، وجاءته النجدات من اليمن والشام ، والمتطوعة من سائر البلاد الإسلامية ، وانتهز فرصة فيضان النيل ، فقطع الجسور ، وأحاطت المياه بالصليبيين ، ورأوا استماتة المصريين

(١) الأتابكة : جمع أتابك . ومعناها في التركية الأمير القائم

فى الدفاع ، فطلبوا الصلح وانقلبوا خائبين سنة ١٢٢١ م .

وفى سنة ١٢٢٨ م . استطاع فردريك (أمبراطور ألمانيا وملك جنوب إيطاليا وزوج ابنة قائد الحملة السابقة جان دى برين) بحسن حيلته وبما اشتهر عنه من حب الإسلام والمسلمين ، استطاع أن يعقد مع الملك الكامل اتفاقاً على أن يعطى بيت المقدس بشرط أن يحتفظ المسلمون فيها بأماكنهم المقدسة ، وأن يساعد « فردريك » « الكامل » على أعدائه ، وأن يمنع النجدات الأوربية عن الإمارات الصليبية الباقية فى سواحل بلاد الشام ، كطرابلس ، وأنطاكية . وقد أنكر هذا الاتفاق المسلمون أشد الإنكار ، لأنه أخرج بيت المقدس من أيديهم ، كما أنكره الصليبيون لأنه حرمهم سبل النجدات الأوربية ، وتركهم فرادى فى بلاد الشام ، يحيط بهم المسلمون إحاطة السوار بالمعصم . وقد برهن الزمن على بعد نظر الملك الكامل إذ حفظ بهذه المعاهدة مصر من الغزو ، وكانت أمل الإسلام والمسلمين فى هذا القرن ، واستطاع الصالح أيوب بن الكامل أن يسترد بيت القدس سنة ١٢٤٤ م وأحرق أحياءها الصليبية .

ثارت أوربا لعودة القدس إلى كنف الإسلام فجاءت حملة صليبية بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، واحتلت دمياط سنة ١٢٤٨ م . فعسكر المصريون فى قلعة المنصورة ، وكان الملك الصالح يقود الجيش محمولا على محفة لمرضه ، واستنجد بالمسلمين فجاءوه من كل مكان ، حتى اكتظت المنصورة بالعسكر ، ورابط الأسطول المصرى فى النيل تجاهها ، ولواؤه معقود « لبيبرس » ثم اشتدّ المرض على الملك فمات فى نوفمبر سنة ١٢٤٩ ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، وحملته فى تابوت سراً إلى القاهرة فى جنح الظلام ، وإمعاناً منها فى الإخفاء ، كانت تمد سماط السلطان كالعادة ، وتوقع باسم السلطان على ما تصدره من أوامر ، توقيعاً مشابهاً خطه لمهارتها فى الكتابة ، وأخذت البيعة لابنه « توران شاه » على الأمراء والقواد ، وأرسلت تستدعيه من الشام سراً . مع كل هذه التحوطات من شجرة الدر ؛ علم الأفرنج فى دمياط بموت الملك ، فزحفوا إلى الجنوب براً وبحراً ، واستولوا على فارسكور ، ووصلوا المنصورة فى ديسمبر سنة ١٢٤٠ يفصل بينهم وبين المصريين بحر أشموم[1] « البحر الصغير » وبدأت المناوشات

وكان المسلمون ينفردون بمعرفة أسرار النار الإغريقية فأصلوا الفرنج بها براً وبحراً ، ولم يستطع « لويس » بناء جسر على البحر الصغير ، ولكنه وقف من خونة بلدة سلامون « غير المسلمين » على مخاض فى البحر الصغير ، فعبرته فرقة كبيرة من جيشه إلى بر المنصورة ، وفاجأت المصريين على غير استعداد منهم ولا علم ، فقتل القائد المصرى ووصل « الصليبيون » إلى أبواب « القصر[1] السلطانى » وشجرة الدر تدير المركز بجأش رابط فأصدرت أمرها لرجال الأسطول ، فأسرعوا بقيادة بيبرس ، وكانوا نحو ألف ، وأطبقوا على الفرنج ومزقوهم شر ممزق ، وقتلوا زهرة شبابهم ، فلم يستطع الإفلات منهم إلا القليل . وكانت واقعة المنصورة هذه فى فبراير سنة ١٢٥٠ ، وبعد عشرة أيام منها وصل توران شاه إلى الصالحية ، فأعلن وفاة الملك الصالح لأول مرة ، وسلمت إليه مقاليد الملك ، بصفة رسمية ، ثم جاء إلى المنصورة وتسلم من شجرة الدر القيادة ومقاليد الأمور . وكان الصليبيون لا يزالون معسكرين بجديلة ، فى العدوة الأخرى من البحر الصغير ، والمؤن تأتيهم من دمياط بطريق النهر ، فصنع المصريون سفناً حملوا أجزاءها على ظهور الجمال ، وأنزلوها فى البحر بعد تركيبها قريباً من دمياط ، لتقطع الطريق على جيش الفرنجة ، فقامت بعملها خير قيام ، واشتد الأمر على الصليبيين وساءت حالتهم ، ودب إليهم الجوع والوهن ، وكانت النيران التى تطلقها عليهم حراقات المسلمين تزيد كربهم . فطلب « لويس التاسع » المفاوضة ، ولكن المصريين لم يقبلوا ، فأخذ ينسحب بجيشه فى جنح الظلام ، ولم يدر أن عيون المصريين منه بالمرصاد ، فطاردوه طيلة ليله ، ولم يسفر الصباح حتى أحاطوا بجيشه براً وبحراً قرب فارسكور ، وهزموه شر هزيمة ، وقتل من جيشه ثلاثون ألفاً غير من غرق منه فى النهر . ولجأ الملك هو وخمسون من خاصته إلى قرية « منية أبى عبد الله » . « ميت الحولى عبد الله » ، وطلب الأمان فمنحه ، واعتقل بالمنصورة فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان ، وأرسلت البشائر إلى جميع الأنحاء نذكر منها على سبيل المثال رسالة توران شاه إلى نائبه بدمشق

---

(١) كان عرض هذا البحر يتصل بالنيل تجاه المنصورة نحو أربعة أميال وهو الذى اعترض الزحف الفرنسى لعدم وجود جسر عليه

(١) ثبت لدي بالتحرى وأيدنى فى ذلك ابن المنصورة الكريم الأستاذ الجليل « على بك الحاكم » أن ذلك القصر كان يقع فى المكان الذى تقوم به الآن « مدرستا المعلمات الأولية والفنون الطرزية » « ورشة صيدح سابقاً » .

« يبشر المسلمين كافة بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من رحمة الله وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، وخلقاً لا يعلمهم إلا الله .

فلما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل ، وقد حل بهم الخزي والويل ، فلما أصبحنا قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى بنفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيس « الملك » إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته .

وقد خلد الشاعر ابن مطروح ما حل بهذه الحملة في قصيدته التي منها .

قل للفرنسيس إذا جئته   مقال نصح من قئول فصيح
آجرك الله على ما جرى   من قتل عباد يسوع المسيح
سبعون ألفاً لا يرى منهم   إلا قتيل أو أسير جريح

تخلصت مصر من هذه الحملة .. ولكن مهمتها التاريخية لم تنته بعد ، إذ كان الصليبيون لا يزالون ممتلكين سواحل بلاد الشام ، فأخذ الظاهر بيبرس بعد أن تبوأ عرش مصر ينازلهم ، حتى استولى منهم على « صفد ويافا وأنطاكية » ثم جاء السلطان خليل بن قلاوون من بعد ، وحاصر « عكا » وضيق عليها الخناق ففتحها سنة ١٢٩١م ولم ينج من حاميتها أحد ، وأحرق المدينة ، فدب الخور في قلوب الباقين من الصليبيين ببلاد الشام ، ولاذوا بالفرار ، مخلفين وراءهم قلاعهم وحصونهم ، وخلصت مصر المسلمين من شرور الصليبيين الذين دفعهم تعصب الباباوات إلى هذه الحرب الطاحنة التي استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وعاد السلطان خليل إلى القاهرة يسوق أسرى الفرنج مكبلين ، وأعلامهم من خلفهم منكسة ، ورءوس قتلاهم على أسنة الحراب (وردّ اللهُ الذين كفرُوا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

(ب) المغول : في أوائل القرن الثالث عشر خرج « جنكيز خان » من أواسط الصين على رأس جيش من المغول ، وهجم على بلاد الإسلام ، فاستولى على التركستان ، وخراسان ، والهند وخرب مدنها سنة ١٢١٩ ، وعاد إلى بلاده بعد أن ترك البلاد التي فتحها في أواسط آسيا وجنوبها قفراً بلقعاً ، ثم غزا خلفاؤه بلاد فارس والعراق ، ولم تأت سنة ١٢٦٨ حتى كان « هولاكو » عاهل المغول على فارس ، قد استولى على بغداد ، وأزال ملك العباسيين وقتل الخليفة المستعصم وأفراد أسرته وعشرات الألوف من البغداديين ، في مناظر هائلة ، ومشاهد مروعة ، من التدمير والتخريب ، وتابع سيره نحو الشام كالسيل الجارف ، والريح العاصف ، فاستولى عليها في سرعة البرق ، وأرسل إلى مصر رسالة تهددها بها بالغزو إن لم تخضع وتسلم ؛ وكان على عرش مصر إذ ذاك السلطان « قطز » الذي قابل رسالة هولاكو بما تستحقه فمزقها ، وقتل رسله ، وكان هذا الرجل المجاهد قد أعلن المصريين أنه لم يتبوأ العرش إلا لتخليص البلاد من المغول ، وأنه سيترك الملك بمجرد الانتصار عليهم ، فسار بجيشه لملاقاة التتار ، وقابلهم على مقربة من بيسان في موقع يسمى « عين جالوت » ولأول مرة ذاق المغول على يد المصريين هزيمة منكرة فروا على أثرها هاربين إلى ما وراء نهر الفرات ، واستطاعت مصر أن تؤدي رسالتها التاريخية في حماية المدنية الإسلامية .

ولما تولى عرش مصر « الظاهر بيبرس » بعد قطز أخذ يعمل على إعادة الخلافة العباسية ، وإرجاع المغول إلى ديارهم .

ولتحقيق الغرض الأول ، استدعى أحد أبناء العباسيين إلى القاهرة ، ونصبه خليفة ، ولقبه « المستنصر بالله » وبقيت هذه الخلافة العباسية في مصر حتى فتحها العثمانيون .

ولتحقيق الغرض الثاني سار على رأس جيش كبير وعبر نهر الفرات على ظهور الخيل ، وأوقع بالمغول هزيمة شنيعة ، وطردهم من تلك الأصقاع .

يئس المغول من التغلب وحدهم على مصر ، فأخذوا يراسلون (بابا) روما ، وملوك أوربا ، لإرسال حملة صليبية ، تشاركهم في محاربة المصريين ، وكان ذلك في أيام السلطان « قلاوون » « ١٢٧٧ — ١٢٧٠ » فسار إلى المغول وهزمهم هزيمة منكرة عند « حمص » لا تقل عن هزيمتهم في « عين جالوت » كما أن السلطان خليل بن قلاوون قد حارب المغول واستولى على كثير من قلاعهم ، وبذلك قضى على الخطر المغولي المهدد لمصر قضاء تاماً .

طاغـــور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة)

لم يجد غاندى فى مقاطعة الهند للغرب وعدم تعاونها معه ما يستوجب فزع طاغور وخوفه على الوحدة العالمية ، لأن مساوئ الحضارة الغربية وضلالاتها ، واستعمار الغربيين البغيض للشعوب الضعيفة ، واستغلالهم الشره لمواردها الطبيعية ، يزهد الهند من ناحية فى أن تقيم أية علاقة تربطها بهذا الغرب المادى الطاغى ما دام التعاون معه يعرضها لأخطار مدنية لا تعرف إلا صالحها ، ويعطى فرصة للدول الاستعمارية لأن تستغل مواردها المتنوعة من دون الشعب صاحب الحق فى الاستفادة منها ، ويجبرها من ناحية أخرى على أن تعتزل العالم ، وتقطع علاقاتها بتلك الأمم التى تفسد عليها حياتها المادية والمعنوية ، وعلى أن تستغنى عن خدمات الغرب وتعتكف فى نفسها تستجمع قواها وتجدد نشاطها وتبعث مواهبها وتشحذ ملكاتها ، وتنهض بمستوى الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية ، وتخلصه من الجهل والبؤس والخوف ، وتسمو بنزعاته الخلقية ، فيقدر أن يقوم بواجبه نحو الهند والهنود . وحينئذ فقط يطالب من الهند أن تساهم فى تأسيس الدولية العالمية ، وأن تفنى فى العالم ، لأن الشعب المتحد القوى المثقف أقدر على تكوين هذه الوحدة من الشعب المفكك الجائع الجاهل الخائف . ومن صالح الهند والإنسانية جميعاً أن تعيش الهند لنفسها أولا ، حتى تتحد وتتقوى مادياً ومعنوياً ، وتتطهر من كل نقص وضعف قبل أن تبذل أى جهد فى خدمة الإنسانية ، أو تسعى لأن تلاشى كيانها فى العالم .

وكان غاندى مخلصاً لمبادئه ، فشجع الهند على أن تعتمد على نفسها فى رقيها ، حتى لا تأخذ من الغرب شيئاً . وعمل على أن يتبع الهنود نفس الأساليب الاقتصادية الهندية القديمة لتدعيم الحياة الهندية المادية ، واهتم بأن يستعينوا بالثقافات الأسيوية التى

(هـ) الحشاشون أو الباطنيون : أسس مذهبهم الحسن الصباح فى أوائل القرن الثانى عشر ، وكونوا فرقة إرهابية فى بلاد الإسلام ، لها حصون ومعاقل منيعة ، تمتد من خراسان إلى سواحل بلاد الشام ، وتعيث فى الأرض فساداً ، وكانوا كما يقول أحد المؤرخين « أداة رائعة للقدر كالوباء والحرب ، كارثة على الملوك الضعفاء والشعوب المنحلة » .

وكم سفكوا من دماء بريئة ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وتآمروا بملوك وسلاطين مع ترويج لعقيدتهم الزائفة التى يقول فيها الإمام الغزالى « مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات ، ويتطرق إليه النظار من الخلافات ، وإيجاب طلب الحق بطريق التعليم والتعلم ، وأن كل زمان فلا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من الدين . والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفع الحجاب ، واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإنكار الشرائع » .

اتخذ هؤلاء الأشرار عاصمتهم (حصن مصياب) فى بلاد الشام بالقرب من طرابلس ، وحاولوا غير مرة قتل صلاح الدين وتحالفوا مع الصليبيين على المسلمين ، وظلوا فى شرورهم المادية والمعنوية ، عوامل هدم للدنيا والدين ، إلى أن سير الظاهر بيبرس حملة إلى بلادهم سنة ١٢٦٩ حاصرت قلاعهم واقتحمتها وفتحت (حصن مصياب) ومزقت الباطنية كل ممزق ، فانهار نفوذهم ، وأصبحوا شراذم لا أهمية لها ، وانتهى على يد المصريين أمرهم ، وطهرت الدنيا من أرجاسهم .

أيها المصرى الكريم ! هذه أعمال بلادك فى قرن واحد ، سحقت جيوش المغول المدمرة ، وحملات الصليبيين الجائرة ، وخزعبلات الباطنية الفاجرة ، منتصرة بذلك على كل ما فى آسيا وأوربا ، من جند وعدة وعتاد ، فهل يخامرك بعد الآن شك فيما ينتظر بلادك من مجد ، وما سيلاقيه الصهيونيون من هول وذل . أرجو أن تكون متفائلا بالمستقبل ، عالماً أن مصر كالهرم والقطم والنيل ، تقوض العروش وتزول الدول ، وهى هى تفنى الفناء وتمى المياه .

عطيه الشيخ

سرت بالهند فى ابتكار حضارة روحية هندية فنية تصون مقومات الهند وتخلو من مفاسد المدنية الغربية . فرد أولا على لوم طاغور فى اتخاذ الهنود المغزل اليدوى وسيلة للتكسب بأن ملايين الهنود يوشكون أن يموتوا جوعاً لأنهم لا يجدون عملا يرتزقون منه . فالفقر هو الذى أرغم الهند على أن تستخدم المغزل العتيق كوسيلة تكفل العيش لشعب فقير . بينما كان ما ينادى به طاغور من ضرورة تمسك الشعب بتعاليم الدين وسعيه فى تحقيق ذاته حتى يتجلى الله فى القلوب ، لا يمكن أن يشبع جائعاً ، وأن الله لن يتجلى لشعب يتضور جوعاً إلا فى صورة العمل والطعام الذى يتقاضاه أجراً عن هذا العمل ، فإن أناشيد طاغور الشاعرية الدينية لا يمكنها أن تسكن آلام الجائعين أو تغنيهم عن عمل يستطيعون به أن يجدوا ما يأكلون .

إن المغزل هو الذى ينقذ الهند من قسوة الفقر وآلام الجوع ويمهد لاستقلال حياة الهند الاقتصادية ، ويغنى الهنود عن خدمات الغرب المادى الجشع ، فعلى طاغور أن يغزل مثله فى هذا مثل أى هندى ، ولا يعارض ، لأن الغزل والنسج فريضة دينية يشرعها الواجب الوطنى على الهنود .

ورد غاندى ثانياً على نعت طاغور الهنود بضيق الأفق وضعف المدارك لتحيزهم السقيم للثقافات الآسيوية بأنه لا يمانع فى معرفة الشعب الهندى لأية ثقافة كانت ، ويود لو تترك دراسة جميع الثقافات حرة فى الهند سواء أكانت آسيوية أم غربية من غير أن تحاول ثقافة من الثقافات أن تفرض سيادتها على الثقافات المحلية ، وتدعى الرقى والرفعة ، وتقضى على كل ثقافة تنافيها ، وتزعم أنها تحاول أن توجد ثقافة موحدة ، وتتحكم فى الحياة الثقافية فى البلاد . فالمستعمر الإنجليزى يلزم الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ويتهاون فى تعليمهم لغات البلاد ، ويضع لهم برامج ثقافية جميع موادها العلوم الغربية وتغفل الثقافات الآسيوية وهى أحق بالأولوية من دراسة أى ثقافة غربية ، لأنها تلائم المزاج الهندى ، وتعرف الهنود مواضع القوة فى روحهم ، وتساعدهم على تأسيس ثقافة جديدة حية تعبر بصدق عن التفكير الهندى . فما أمر غاندى بمقاطعة الثقافة الغربية إلا ليعطى فرصة للثقافات الآسيوية لأن تثبت وجودها فى الحياة التعليمية فى الهند ويحمى اللغات القومية والتراث الوطنى من الضياع والنسيان

* * *

لم أقصد من عرض مناقشات طاغور وغاندى حول تآزر الغرب والشرق أو عدمه أن أقف بينهما حكما أفضل عالمية طاغور على وطنية غاندى ، أو أوازن بين واقعية غاندى ومثالية طاغور . وإنما قصدت أن يستفيد العالم العربى ، وهو فى ظروفه الحاضرة المليئة بغيوم الشك وسحب الارتياب ، من غدر الغرب وسوء نيته ، وأن أرجع بالأذهان مجادلة بين شرقيين عربيقين فى الروحية أحسا بما نشعر به من انفعالات نحو الغرب ، أحسب أنها تفيدنا فى وضع خططنا العامة الدولية . فطاغور المفكر الإنسانى قد بين للشرق ما يجب أن يصبغه من روحية على ما يأخذه من الغرب من علوم وفنون وجد ونشاط ، وما يجب أن ينبذه من مادية وأنانية وحب للسيطرة وإمعان فى الإباحية واستهتار بالقيم الروحية . فلو سرنا على هديه لأخذنا من الغرب زبده ، وتركنا أوساخه وأقذاره ، ونهجنا السبل القديمة فى تكوين حضارة جديدة طاهرة تؤسس على روحية الشرق ونبوغ الغرب فى العلوم والفنون ومهارته فى العمل .

أما غاندى الزعيم الوطنى ، فقد علم الشرق كيف يحارب أنانية الغرب وغروره بغير عنف أو إيذاء ، ويتخلص من ضلالاته من غير حقد أو بغض ، ويستعين بأبعد الأسلحة عن العنت وإثارة الحقد ، ويتخذ من أقرب القوى إلى الحب والتسامح ذريعة فعالة لنيل المآرب القومية . فلو سرنا على هدى غاندى فى مقاومته السلبية السلمية ، وقاطعنا الدول الغربية ، وحاولنا أن نقلها ، ونقوى من تعاضدنا لأرغمنا الغرب على طلب التعاون معنا ، ولتنازل عن غروره وكبريائه ، وسلم بضرورة رد جميع حقوقنا التى سلبها منا عنوة وغصباً .

فكل من طاغور وغاندى قام بدور هام فى حياة الإنسانية ؛ فقد خدم طاغور الهند والشرق بل والعالم أجمع بسعيه فى ضم أشتات الدول المتخاصمة ، وتأسيس وحدة عالمية لها ثقافة واحدة لا حياة واحدة ، كما خدم غاندى الهند والشرق ، وعلمهما كيف يتسلحان بالطرق الروحية فى مقاومة مادية الغرب ، وجعله يشعر عملياً بأن أنانيته لن تفيده شيئاً ، بل تؤذيه وتضر بمصالحه ،